جامعة يحيى فارس المدية
مخبر اللغة وفن التواصل (م. ل. ف. ت)

Université Yahia FÈRES Médéa
Laboratoire de langue et art de la communication (L.L.A.C)

مجلة التواصلية

رقم الايداع القانوني: ر د م د 2437-0894

رقم الايداع بالمكتبة الوطنية: 2015-5845

ر ت م د إ: 537X-6202

النحو والبلاغة نقاط التقاطع ومسافات التباعد

Grammar and rhetoric , intersection points , and spacing distances

أ.مصطفى رافـع

جامعة البويرة- الجزائر

Mustaphrafa8515@gmail.com

تاريخ الإرسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2020-05-11	2020-08-24	2020-12-25

المرجع: مصطفى رافـع، « النحو والبلاغة نقاط التقاطع ومسافات التباعد »، التواصلية، المجلد: 06، العدد: 18، 25 ديسمبر 2020، ص ص: 345-371.

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/294

النحو والبلاغة نقاط التقاطع ومسافات التباعد

Grammar and rhetoric , intersection points , and spacing distances.

أ. مصطفى رافـــع

جامعة البويرة– الجزائر

مُلخّص:

تأتي هذه الدراسة الموسومة بـ "النحو والبلاغة نقاط التقاطع ومسافات التباعد "، كمحاولة تهدف إلى الوقوف عند مجال التلاقي بين النحو والبلاغة الممثل في علم المعاني، من خلال مبحث التقديم والتأخير وكذا مبحث الحذف وبيان التفاعلات المعرفية والإجرائية بين العلمين، وإبراز خصوصية كل علم من خلال بيان ما تمتاز به الرؤية البلاغية في معالجة قضايا التركيب عن الرؤية النحوية.

الكلمات المفتاحية: النحو، البلاغة، المعاني، الحذف، التقديم والتأخير.

Abstract:

This paper aims at studying the fields of convergence between grammar and rhetorics represented in semantics through anastrophe, deletion and cognitive and procedural interactions between the two sciences. In addition, it tries to highlight the specificity of each science through the explanation of the rhetorical vision in treating syntactic issues from the grammatical view.

Keywords: grammar, rhetorics, meanings, omissions, anastrophe.

1ـ مقدمة:

إذا كان الإنسان كائنا اجتماعيا لا يستطيع العيش بمفرده منعزلا عن الناس، فطبيعته الاجتماعية هذه تحتم عليه إقامة علاقات وأواصر تواصل مع غيره، فإننا نجد الأمر نفسه واقعا بين العلوم التي ما ينفك الواحد منها يقيم جسورا معرفية يعرّج من خلالها على العلوم المتاخمة له، وعلوم العربية ليست بدعا من هذا التجسير المعرفي، حيث نجد هذه العلوم تتداخل فيما بينها تفيد وتستفيد، تثري وتستثمر، فلا وجود لبرزخ بحيث لا يبغي أحدها على الآخر، وإن كان لدى كل واحد منها خصوصية ينماز بها عن الآخر، فهي بذلك تتقاطع لتتكامل، وتتماز لتتخصص، ومن بين العلوم التي حدث بينها وشيجة نسب وثقى علم النحو وعلم البلاغة، وتأتي هذه الدراسة الموسومة بـ: "النحو والبلاغة نقاط التقاطع ومسافات التباعد "لتقف عند نقاط التلاقي والتماس بين الدرسين النحوي والبلاغي، كما تحاول الوقوف عند حدود التمايز من خلال الانتقال الإجرائي على مستوى المعالجة البلاغية مقارنة بالمعالجة النحوية للتراكيب.

ونظرا لتشعب مسالك هذا التلاقي بين الدرسين النحوي والبلاغي وضيق المقام، ستتوقف الدراسة عند مبحثين بارزين هما مبحث التقديم والتأخير وكذا مبحث الحذف.

وتتأسس دراستنا هذه على إشكاليات مركزية هي:

–لماذا توقف النحو القواعدي عند مجرد الوصف دون أن يتجاوز ذلك إلى تفجير الدلالات الكامنة داخل التراكيب النحوية؟

– ما ثمار التحاقل المعرفي بين البلاغة من هذا التصاهر مع النحو؟ وما هي آثار التفرقة بين النحو والبلاغة على النحو؟

– وهل يمكن القول بأن تجسير العلاقة بين النحو والبلاغة هو بمثابة انبعاث للنحو وإخراجه من صيغة المجردة وقوالبه الصارمة ومثاليته المتعالية؟ إلى آفاق دلالية رحبة؟

–بم امتازت المعالجة البلاغية للتراكيب عن المعالجة النحوية؟

2ـ في مفهوم النحو والبلاغة:

1.2 في مفهوم النحو وموضوعه:

كانت العرب تنطق على سليقتها، تنطق بالإعراب دون تكلف إلى أن اختلط العرب بالأعاجم فعرض لألسنتها اللحن والفساد الذي كاد يودي بشباب اللغة إلى الهرم وبنُضرتها إلى الذبول، مما أدى إلى فساد المعنى أيضا، فظهرت الحاجة إلى علم يقوّم هذا الفساد، ويعصم الألسنة من الزّيغ والزلل، كما هي الحال بالنسبة إلى المنطق الذي يعصم العقل من الزيغ والزلل، فكان هذا العلم هو علم النحو.

للنحو لغة معان كثيرة أهمها المقدار كعنده نحو مائة دينار، والمثل والشبه، كسعد نحو سعيد، "والقصد يقال نحوت نحوك أي قصدت قصدك، وسمي النحو نحوا لأن المتكلم ينحو فيه منهاج كلام العرب إفرادا وتركيبا"[1].

[1] فؤاد إفرام البسياني، منجد الطلاب، ط44، بيروت، دار المشرق، 1996، ص778.

وأما النحو اصطلاحا فعرف تعريفات عديدة فقد عرفه **ابن جني** على أنه " انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره"[1]، ويعرف أيضا بأنه "علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء، وقيل هو علم يعرف به صحيح الكلام وفاسده"[2]، أو"هو العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها" وهذا الاصطلاح للقدماء، أما اصطلاح المتأخرين" فهو تخصيصه بفن الإعراب والبناء، وجعله قسيم الصرف، ولهذا يعرفه المتأخرون بأنه علم يبحث عن أواخر الكلم إعرابا وبناء"[3].

ثم إن للكلمة العربية حالتين حالة إفراد وحالة تركيب" فالبحث عنها وهي مركبة ليكون آخرها على ما يقتضيه منهج العرب في كلامهم من رفع أو نصب أو جر، أو جزم أو بقاء على حالة واحدة فهو موضوع علم النحو"[4]، وعلم النحو

---

[1] ابن جني، الخصائص ج1، ط3، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008، ص88.

[2] علي محمد الجرجاني، التعريفات، تح محمد بن علي عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، القاهرة، ص250.

[3] محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص217.

[4] الشيخ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، ص10.

مشتمل على أحكام الكلمة، والأحكام على قسمين قسم يلحقها حالة التركيب، وهو قسمان إعرابي وقسم غير إعرابي، ويسمى علم الإعراب تغليبا لأحد القسمين"[1].

ـ أهمية علم النحو:

يقول **القلقشندي** في صبحه: "لا نزاع في أن النحو هو قانون اللغة، وميزان تقويمها"[2]، فلا شك إذن أن معرفة قوانين النحو ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها، " فهي التي تجعل القارئ قادرا على التمييز بين الألفاظ المتكافئة في اللفظ، وأن ما قعده النحاة لم يكن عملا عشوائيا ترفيهيا بل كان عملا منظما وهادفا، فقد رسم هؤلاء العلماء خطتهم في النحو بعد أن جعلوا نصب أعينهم الهدف الذي يرمون إليه، وهو عصمة اللسان من الخطأ الذي يؤدي إلى فساد المعنى ثم تيسير العربية على من يرغب في تعلمها"[3]، وهنا يطالعنا **ابن جني** بتعريفه للنحو حيث يقول: " النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وبناء، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها، وإن لم يكن منهم أو إن شذّ بعضهم عنها رد به إليها"[4].

---

[1] ابن جني، التصريف الملوكي، تح ديزيره سقال، دار الفكر العربي، بيروت، 1998، ص12.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى ج1، تقديم فوزي محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص167.

[3] نايف محمود معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، ط1، دار النفائس، بيروت، 1985، ص168.

[4] ابن جني، الخصائص، ج1، مصدر سابق، ص88.

كما أن غاية النحو الاستعانة به على فهم كلام الله ورسوله، ولذلك كان من العلوم التي يجب أن يعلمها مفسر القرآن، بل ويجب أن يكون محيطا ملما به، كما أن من غايته فهم الدلالات اللغوية؛ مما له (النحو) من دور استدلالي في المعاني المتكافئة.

ـ النحو والمعنى:

تؤثر أنماط التركيب النحوي في أداء المعنى، فترتيب الكلمات والعبارات محكوم بقواعد ونظم تختلف من لغة إلى أخرى، ففي العربية طرائق خاصة لتركيب الجمل، وفيها المواقع الإعرابية (الوظائف النحوية) المتعددة للألفاظ ولاسيما الأسماء التي تقع فاعلة ومفعولة، ومضافة ومضافا إليها، وتكثر أغراض المتكلمين بها.[1]

وتسمى الدلالةُ النحويةُ الدلالةَ التركيبيةَ[2]، أو كما يسميها ابن جني بالدلالة المعنوية[3]، والتي تتحقق من نظام الإعراب؛ ويقصد بها المعنى الذي يتحقق من تراكيب الكلام، وذلك من خلال العلاقات الإعرابية، هذا وقد سيطرت فكرة الدلالة التركيبية على **ابن جني**؛ إذ نجده يحكم بفساد التركيب لفساد معناه، وإن صح التركيب شكلا: "ومن المحال أن تنقض أول كلامك بآخره؛ وذلك مثل: قمت غدا،

---

[1] عبد الغفار حامد هلال، علم الدلالة اللغوية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، ص33.

[2] محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ط1، دار النشر للجامعات، مصر، 2005، ص129.

[3] ابن جني، الخصائص، ج03، مصدر سابق، ص98.

أو سأقوم أمس..." [1]، فهذان المثالان صحيحان إعرابا وشكلا ولكنهما فاسدان معنى.

ودلالة التركيب تأتي من جموع ألفاظه لأن كل كلمة في التركيب تعتمد على وظيفة أخرى في التركيب نفسه، يقول **ابن جني:** " ألا تراك حين تسمع " ضرب" عرفت حدوثه وزمانه ثم تنظر فيما بعد فتقول هذا فعل، ولابد له من فاعل، فليت شعري من هو؟ وما هو؟ فتبحث حينئذ إلى أن تعلم أن الفاعل من هو؟ وما حاله"[2]، ويؤكد ابن جني أن وظيفة الألفاظ في التركيب تتبين من ناحية المعنى لا من ناحية اللفظ، لأن دلالة المثال (الفعل) على الفاعل من جهة معناه.

وعليه يمكن تعريف الدلالة النحوية بأنها: " الدلالة الناشئة عن العلاقة بين وحدات التركيب، أو المستمدة من ترتيب وحداته على نحو يوافق القواعد"[3]، أو هي الدلالة " المحصلة من استخدام الألفاظ في الجملة، ويطلق عليها الوظائف النحوية أو المعاني النحوية"[4].

---

[1] ابن جني، الخصائص، ج03، مصدر سابق، ص331.

[2] المصدر نفسه، ص98.

[3] فريد عوض حيدر ، فريد عوض حيدر، علم الدلالة، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1999، ص43.

[4] محمود عكاشة، محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، مرجع سابق، ص130.

2.2 في مفهوم البلاغة:

البلاغة في العرف اللغوي مأخوذة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، ومبلغ الشيء نهايته، ويقال بلغ مني كلامك: أي أثّر فيّ تأثيرا شديدا، والبلاغ الوصول إلى الشيء، وبلّغ عنه الرسالة أوصلها[1]. وعلى هذا سميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه[2].

والبلاغة هي من العلوم التي تتحرى الحسن في الكلام شعره ونثره من حيث المعاني والألفاظ في علاقتها ومواقعها من الكلام[3]، وعليه يمكن القول إنّ البلاغة هي علم يهتم بذلك الرابط الذي يترجم المعاني إلى ألفاظ تدل عليها، ويكمن الجانب الجمالي والفني فيها في طريقة انتخاب ألفاظ وتراكيب وصور بعينها للتعبير عن المعاني، كما تحمل على عاتقها مهمة دراسة الفروق التعبيرية بين الأساليب التي تتساوق ومقتضى الحال فتميز الأبلغ منها من البليغ، والأنسب من المناسب وهكذا.

ويعتبر بدوي طبانة البلاغة تشريعا للأدب ويسميها نحو الأدب؛ إذ إنها تعصم الأديب من أخطاء الأساليب، وعيوب التراكيب التي تنقص حظّها من

---

[1] فؤاد إفرام البستاني، منجد الطلاب، مادة (بلغ)، مرجع سابق، ص 43-44.

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ط1، مطبعة محمود بك، الأستانة، 1319هـ، ص 06.

[3] محمود أحمد حسن المراغي، علم البديع، ط1، دار العلوم العربية، بيروت، 1991، ص 5.

الحسن الأدبي، والجمال الفني، كما يجنب النحو الخطأ في الأعاريب ويصون اللسان والقلم من اللّحن[1].

وقد انقسمت الأبحاث البلاغية منذ قيامها إلى قسمين: قسم يُعنى بقوانين تفسير الخطاب، وقسم يهتم بشروط إنتاج الخطاب[2]، ومن خلال هذا نكون أمام نوعين من البلاغة بلاغةٍ تدلُّك كيف تنتج نصا؟ وبلاغةٍ تأخذ بيدك وتدفعك إلى أن تسأل لماذا أعجبت؟ وما سرّ الإعجاب؟ فالبلاغة تعيننا بما تقدمه من آليات في فهم سرّ إعجابنا بكلام دون كلام، وتمكننا من الحفر عميقا في جيولوجيا النصوص، وتفجير المعاني الكامنة هناك، وهنا عليك أن تمتطي صهوة البلاغة للكشف عن هذا السرّ، وهكذا نلاحظ أن النوع الأول موجه إلى منشئ أو مبدع النص، والثاني يختص به متلقي النّص، وبهذا فالبلاغة ترسم للمبدع خطة الأداء بإجادة، وترسم للمتلقي خطة القراءة بعمق.

هذا وقد بدأت البلاغة العربية حياتها في ظل علاقاتها المتعددة مع حقول معرفية، فهي بذلك تتقاطع معرفيا معها تفيد منها لتؤثث آلياتها ومقولاتها، وتثري مباحثها وذلك وفق ما تراه يخدم طبيعتها ووظيفتها التي قامت على أساسها، ومن بين هذه الحقول المعرفية النحو.

---

[1] بدوي طبانة، أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1981، ص124، 123.

[2] محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، نقد العقل العربي2، ط9، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، ص 20.

3. التواشج النّحو بلاغي:

من العلوم التي أفادت البلاغة – ونقصد علم المعاني تحديدا – علمُ النحو، الذي نشأت بينه وبين البلاغة علاقة وطيدة قامت على أساس التلاقي والاختلاف بينهما، حيث تلقت البلاغة سيلا من المصطلحات وردت على ألسنة النحاة كالإسناد والخبر والحذف، والزيادة والتقديم والتأخير...، وما كان من علم البلاغة إلا أن يتلقى هذه المصطلحات بتوسيعها، وأن يجعل منها جسورا ممتدة بينه وبين مصادرها الأولى.

وإذا كانت مَهمّة النّحو عصمةَ اللسان من الخطأ، ووقايتَه عثرات اللّحن التي قد تفسد العبارة أو تشوه جمالها، وإذا كانت مهمة قواعد النحو تستطيع أن تقول عن الكثير من أوضاع التعبير إنه صحيح، فإن مهمة البلاغة أن تقرر واحدا من هذه الأوضاع هو الذي تقرر أنه الأفضل والأبلغ[1]، ويصف **تمام حسان** العلاقة بين النحو والبلاغة فيقول: "شغل النحويون بدراسة مكونات الجملة فعكفوا على الأبواب النحوية للمفردات وشروط تحقيقها في الكلمات كما شغلوا بالعلاقات بين هذه الأبواب، حتى إذا بلغوا حدود الجملة التامة لم يبق لهم إلا المحل الإعرابي للجملة ففرقوا بين ما له محل ولا محل له من الإعراب، أما وراء ذلك من وظيفة كل نوع من أنواع الإسناد وربط هذه الوظيفة بمقتضى الحال ورعاية المقام عند اختار أحد الإسنادين الخبري أو الإنشائي فلم يكن من هموم

[1] محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط2، مكتبة الطالب الجامعي، 1986م.، ص 14.

النحاة، ولم يخطر لهم أن يُضمّنوا نظريتهم شيئا عن مكان المتكلم أو السامع من الخطة العامة للاتصال اللغوي ثم جاء دور البلاغيين فانطلقوا من النقطة التي انتهى عندها النحاة وألقوا نظرة على تركة النحاة ليستخرجوا منها عناصر تربط النظر النحوي بالاستعمال التطبيقي[1].

وفي خضم حديثنا عن تلك الجسور الممتدة بين البلاغة والنحو من جهة علم المعاني نأتي على ذكر الفرق بين قواعد النحو التي هي قوانين اللغة وهي قوانين معيارية تحدد حدود الصواب وحدود الخطأ في الكلام ولا توجب فضلا لكلام على كلام وبين معاني النحو التي هي أوسع من النحو وقوانينه وهي المعاني الثانية الناتجة عن النظام النحوي وانتهاج معاني النحو هو النظم[2].

وتتجلى العلاقة الوشيجة بين البلاغة والنحو من خلال خاصية التعليق التي دافع فيها الجرجاني والمرتبطة في نظره بمعاني النحو وأحكامه، والتي تسمح باعتبار معاني النحو المكونات الأساسية لعلم المعاني، أو بالأحرى ما يمكن نعته بشعرية النحو، أو البلاغة النحوية[3]، ومن ثم ترتبط معاني النحو بالنّظم من خلال

---

[1] تمام حسان، المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، مجلة فصول، أبريل 1987، ص 28.

[2] أحمد يوسف علي يوسف، البلاغة العربية، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، ص 94، 95.

[3] إسماعيل شكري، "في نقد الصور البلاغية: مقاربة تشييدية"، عالم الفكر، العدد3، يناير، مارس 2009، ص 154.

معرفة مواطن التقديم والتأخير والتنكير والحذف...، وعليه فإن معاني النحو عند **الجرجاني** تشكل مبحث شعرية النحو داخل النظام البلاغي العربي[1].

وفي إطار تعزيز العلاقة بين النحو والبلاغة، يجب علينا ألا ننظر إلى المقولات النحوية كصيغ مجردة، وإنما باعتبار أنّ لها وظيفة ودورا في المعنى[2]، يقول سالم علوي: "إن أكبر غلط اعتمده علماء العربية في العصور المتأخرة، أنهم فرقوا بين علم البلاغة والنحو، فخصوا النحو بالتحليل النحوي الإعرابي وعلم البيان بالمعاني"[3].

إلا أنّ هذه التفرقة بين النحو والبلاغة لا تنفي وجود تواشج بينهما، فلو استعرضنا كتب النحو، لوجدنا كلمتي (معنى ومعاني) متواكبة مع قضايا النحو، ولذا نجد أن المباحث التي تفرّغ لها علم النحو هي بعينها التي أشبعها البلاغيون بحثا أسموه: بعلم المعاني، فهي مباحث نحوية عليها مسحة بلاغية، أو هي معان نحوية حسنها البلاغيون بتتمّات بيانية، وحاولوا إخراجها بصيغة جديدة يصلح أن تُسمّى في ضوء ما حققوه: "معاني النحو البلاغية"[4]، إذ أن علم النحو علم تحليلي

---

[1] إسماعيل شكري، "في نقد الصور البلاغية: مقاربة تشييدية"، عالم الفكر، العدد3، مصدر سايق، ص 155.

[2] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص 77.

[3] سالم علوي، "الدرس النحوي بين التنظير والتطبيق"، اللغة والأدب، العدد5، 1994، ص 171.

[4] محمد حسين علي الصغير، علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1989، ص 79.

يقف عند المفردة اللغوية ليصل إلى الجملة واصفا إياها بهدف الكشف عن المعنى وأنّ علم المعاني علم تركيبي ينطلق من النقطة التي انتهى إليها علم النحو باحثا عما وراء المعنى النحوي[1]، ولكن رغم هذه التداخلات بين العلمين إلّا أنّ هناك ميزات تميّز كلّ علم، ومن ثمّ تعطيه استقلاله عن الآخر.

4.علم المعاني مجالا لتقاطع النحو مع البلاغة:

إن التقارب النحو/ بلاغي كان سببا لنشوء علم المعاني في أحضان النحو، لتأتي البلاغة لتفيد من ثمرات هذا النشوء، فالنحاة تناولوا اللغة من خلال منهج شمولي، والبلاغيون تعاملوا معها على أنها بناء دلالي تركيبي متكامل، فالنحوي يبحث في المركبات من جهة هيأتها التركيبية صحة وفسادا، بينما البلاغي فنظرته تتسم بالبحث عن أغراض كل أسلوب، حتى يتعرّفوا على أثر هذا التقديم أو ذاك التأخير أو ذلك الحذف... على جمالية النّص.

وعلم المعاني هو الأساس في علوم البلاغة، وذلك لأنه العلم الذي يراد به بناء الجملة على نحو يؤدي إلى وفاء المعنى وتمامه طبقا لما يقتضيه الحال، على اعتبار أن الألفاظ بأصل وضعها لا تفي بالمعاني التي يريد المتكلم أن يعبر عنها، ولهذا يلجأ إلى التحوير في العبارة بالتقديم والتأخير، والحذف والذكر وغير ذلك من الأمور التي تجعل العبارة تتسع وتفيد معاني ودلالات.[2]

---

[1] أحمد يوسف علي يوسف، البلاغة العربية، مرجع سابق، ص 92.

[2] توفيق الفيل، بلاغة التراكيب – دراسة في علم المعاني –، مكتبة الآداب، القاهرة، ص10.

المعاني في اللغة جمع معنى، والمعنى القصد، يقال: عنيت الشيء إذا كنت قاصدا له، اعتنى هو بأمره اهتم، وعنيت فلانا قصدته، ومن تعني بقولك؟ أي من تقصد؟[1]، وأما المعاني في الاصطلاح البلاغي لا يراد بها المدلولات الإفرادية للألفاظ، كما لا يراد بها الأفكار أو المعاني المجردة التي يتمخض عنها نثر البيت أو شرح القصيدة بعبارات تقريرية، وإنما يراد بها المعاني أو الوظائف النحوية والصرفية؛ وهي التي يدور حولها علم المعاني ويختص بتأملها والكشف عما تشعه في الأساليب الفنية من أسرار ودلالات[2]، علم المعاني في اصطلاح البلاغيين فيعرّف على أنّه " علم تعرف به أحوال اللفظ العربي التي بواسطتها يطابق هذا اللفظ ما يقتضيه الحال"[3]. ويبين **السكاكيّ** أن موضوع علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطإ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره.[4]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، تح عبد الله الكبير، محمد حسب الله، مج1، ج5، دار المعارف، القاهرة، ص 3146.

[2] حسن طبل، علم المعاني في الموروث البلاغي، ط2، مكتبة الإيمان، المنصورة، 2004، ص7،8.

[3] الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، قرأه وكتب حواشيه وقدم له: ياسين الأيوبي،ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1423-2002، ص47.

[4] السكاكي، مفتاح العلوم، ط1، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ص247.

ثم يوضح مفهومه لخواص تراكيب الكلام بقوله: " وأعني بخاصيّة التركيب ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللازم له "[1]، وما يفهم من كلام **السكاكي** هــو أن دراسة علماء المعاني مقتصـرة على التراكيب الدالة المفيدة، أي تلك التي لها دلالات مباشـرة، أو غير مباشرة ضمنية تفهم منها، أو ملازمة لها، فهم يركزون على دعامة الإفادة في دراستهم للجملة والنص.[2]

وعلم المعاني يبحث في بناء الجملة العربية من حيث صياغتها، واختيار أجزائها، ولما كانت الجملة مركبا إسناديا، فإنّ هذا التركيب يطرأ عليه التحوير والتنوع، وعلم النحــو وإن كان قد تعرض لدراسة أحوال التراكيب من تقديم وتأخير، وحذف...، إلا أن دراسته تختلف عن دراسة البلاغيين، فالنحوي يدرس هذه الأحوال من حيث الجواز والوجوب والامتناع، أي من حيث الحكم، وإمكان الاستعمال، أما البلاغي فيدرس الأسرار الكامنة وراء هذه الأحــوال، لأنه يتناولها مــن حيث كونُها مطلبا بلاغيّا يقتضيه المقام[3]، وعليه فإن التركيب اللغوي لا ينظر إليه من ناحية الصحة النحوية فحسب بل إنه لا يخلو في بعض الأحيان من

---

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ط1، تح: عبد الحميد هنداوي، مصدر سابق، ص 248.

[2] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2005، ص51.

[3] بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني، ج1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1987 ، ص33.

معنى أو معان بلاغية، ولذا اهتم علم المعاني برصد المعاني والاستعمالات الدلالية والبلاغية التي يتضمنها التركيب اللغوي[1].

فعلم المعاني يُعنى بائتلاف الألفاظ، ووضعها في الجملة الموضع الذي يفرضه معناها النحوي،[2] يقول **عبد القاهر الجرجاني:** "وأمر النظم ليس شيئا غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم، وأنك ترتب المعاني أولا في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك. "[3]، ويقول أيضا: " ... وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرد أصواتا، لما وقع في ضمير، ولا هجس في خاطر أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يجعل لها أمكنة ومنازل، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك. "[4]

ويتضح من هذا الكلام أن علم المعاني مرتبط بعلم النحو، ويتصرف بالجملة على ضوئه، فنعلم سبيل تحول الكلام من الخبر إلى الإنشاء، ونستبين حقيقة الإسناد تعريفا وتنكيرا، وتقديما وتأخيرا، مع بيان السبب والغاية.

---

[1] إبراهيم منصور التركي، العدول في البنية التركيبية – قراءة في التراث البلاغي، مجلة جامعة أم القرى، ج9، العدد 9، 1428، ص 548.

[2] رفيق خليل عطوي، صناعة الكتابة، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1989، ص63.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط5، تح محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004، ص 454.

[4] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص 56.

فعلم المعاني هو العلم الذي يبحث في أحوال التراكيب، وما يكون فيها من اختلاف، أو ما تأتي عليه من صور لتؤدي معنى يناسب حالة بعينها[1]، فهو بحث في الجملة من حيث قيمتها الجمالية وقيمتها الدلالية والتأثيرية أيضا[2]، وهكذا نجد أنّ البلاغيين قد جعلوا مدار علم المعاني حول الشرائط الخاصّة التي تراعى ليكون الأسلوب اللغوي متساوقا مع مقتضى الحال الذي يتطلبه الموقف.

ويذهب **شفيع السيد** إلى أن ما أنيط بهذا العلم من وظيفة وهي الاحتراز عن الخطإ في تأدية المعنى المراد ليس صحيحا على وجه الإطلاق، فالأمر في أكثر الأحيان أمر اختياري بين بدائل كلها صحيح لغويا، إلا أن بعضها يتميز من بعض من حيث الإيحاء بخلجات المعاني ودقائقها الخفية، وليس في الأمر عدول عن خطإ إلى صواب[3]، وبهذا يكون العدول اختيارا واستثمارا وتوظيفا للطاقات الكامنة في اللغة، فالتركيب اللغوي لا ينبغي النظر إليه من ناحية الصحة النحوية فحسب بل إنه لا يخلو من معان بلاغية ينبغي تجليتها.

وعلى الرغم من المنطلق النحوي لعلم المعاني فإن الفارق جوهري بينه وبين علم النحو القواعدي، فدور هذا الأخير يقتصر -كما نعلم- على تحديد معاني النحو والتعريف بالمباني الدالة على كل منها، ووضع الأسس والمعايير التي تكفل صحة استخدامها فيها، بينما علم المعاني أو كما يسميه بعض

---

[1] توفيق الفيل، بلاغة التراكيب، بلاغة التراكيب – دراسة في علم المعاني –، مرجع سابق، ص11.

[2] رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص63.

[3] شفيع السيد، البحث البلاغي عند العرب، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، ص143.

المعاصرين النحو العالي يطمح إلى أن تحقق التراكيب مستوى الفنية والجمال واستثمار طاقاتها استثمارا فنيا في غثراء اللغة الفنية وتكثيف الدلالة فيها[1].

1.4 ظاهرة التقديم والتأخير نقطة تقاطع بين النحو والبلاغة:

تمثل ظاهرة التقديم والتّأخير مظهرا من مظاهر العدول الذي يعتمد على تكسير العرف اللغوي، والخروج عن المألوف من العلاقات الإسنادية المتداولة إلى مستوى أرحب يرتقي بالنّصّ من خلال إضفاء سمة جمالية عليه، فالعدول عن الأداء المثاليّ للعبارة هو مبدأ جماليّ أسّسه البلاغيون في سبيل الكشف عن الطاقات التعبيرية في النص، والوقوف عند المناحي الجديدة في التعبير، والكشف عن المعاني والدلالات المتولدة، ومن هنا عُدّ محورا رئيسيا في الدرس البلاغيّ.

وتعدّ ظاهرة التقديم والتأخير من الأبواب التي ذكرها **الجرجانيّ** لتطبيق فكرة النظم، حيث أفرد لهذه الظاهرة فصلا في كتابه دلائل الإعجاز وفصّل فيها القول فهي عنده " باب كثير الفوائد جمّ المحاسن، واسع التّصرّف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة"[2]، غير أن الدارسين قبل **الجرجانيّ** كان أكثرهم يكتفي بالإشارة إلى موضع التقديم وبيان أصل العبارة، **فسيبويه** أثناء حديثه عن ظاهرة التقديم والتأخير يقول: " كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى "[3]، فسيبويه مثلا وإن كان له قصب السبق، إلا أنّ **الجرجاني** أحسن

---

[1] حسن طبل، علم المعاني في الموروث البلاغي، مرجع سابق، ص 8.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص 106.

[3] سيبويه، الكتاب، ج2، ط1، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ص15.

تعليلها وكشف عن بلاغتها، وتجاوز ما وقف عنده سيبويه، فنجده يعلّق على ذلك من خلال قوله: " وقد وقع في ظنون الناس أنّه يكفي أن يقال: إنّه قدّم للعناية، ولأنّ ذكره أهمّ، من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية، وبم كان أهمّ "[1]، وفي هذا المضمار يضرب لنا الجرجاني مثالا من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وجعلوا لله شركاءَ الجنَّ ﴾[2] حيث يقول:" ليس بخاف أن لتقديم الشركاء حسنا وروعة ومأخذا في القلوب، أنت لا تجد شيئا منه إن أنت أخرت فقلت (وجعلوا الجن شركاء لله)، والسبب في أنْ كان ذلك كذلك، هو أن للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليلا لا سبيل إليه مع التأخير، بيانه أنّا وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء وعبدوهم مع الله تعالى، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم، فإن تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى ويفيد معه معنى آخر وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غير الجن، وإذا أخر فقيل: " جعلوا الجن شركاء لله " لم يفد ذلك"[3]، ومن هنا يتضح لنا أن عدم العدول عن التركيب المثالي قد يفسد المعنى المقصود، ولا يتحقق كمال القصد إلا من خلال اختراق الأداء المثالي، فيصبح العدول (التقديم) ضرورة لا اختيارا، وهذا التقديم فيه إيجاز فلو كان الكلام على التأخير لاحتاج إلى استئناف كلام آخر كأن يقال: وجعلوا الجن شركاء لله، وما ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غيرهم، ومع ذلك يبقى التعبير بالتقديم أفخم وأحسن

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص 108.

[2] الأنعام، الآية 100.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 286، 287.

موقعا في النفس.[1] وهذا يرجع بطبيعة الحال إلى أن التعبير بالتقديم أوجز من التعبير بالتأخير، والإيجاز كما نعلم هو ركن ركين في تحديدات البلاغة.

وهكذا نلاحظ أن الجرجاني يتجاوز الرؤية النحوية إلى محاولة استجلاء مكامن الحسن والجمال في العدول عن الصرامة النحوية، واستثمار طاقات ظاهرة التقديم والتأخير في إثراء اللغة فنيا وتكثيفها دلاليا.

2.4 ظاهرة الحذف نقطة تقاطع بين النحو مع البلاغة:

يعتبر الحذف من المباحث التي تشكل نقطة تقاطع ومنطقة تماس بين الدرسين النحوي والبلاغي، إلا أن الرؤية النحوية تختلف عن الرؤية البلاغية حيث نجد أن النحاة يحذون في رؤيتهم حذو تقدير المحذوف ومدى جوازه من وجوبه، بينما يتجاوز البلاغيون في رؤيتهم كل هذا إلى الحديث عن النواحي الفنية والأسرار البلاغية، ومن هنا كان مبحث الحذف من أبرز المباحث البلاغية التي حظيت بجانب كبير من الاهتمام من قبل البلاغيين، الذي هو بدوره يشكل عدولا عن نمطية التركيب ومعياريته الصارمة، حيث من الأغراض التي تترتب عنه وجازة العبارة وتجنيبها التمدد الثقيل، وهذا الأمر يشكل أساسا من أساسات البلاغة التي عرفت عند بعض البلاغيين بأنها الإيجاز مع عدم الإخلال بالمعنى، ولقد جعل بعض علماء البلاغة مدار البلاغة كلّه حول الإيجاز، فجعلوه شرطا من شروطها، والإيجاز ضربان:

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص 287، 288.

ــ **إيجاز القصر**: وهو تقليل الألفاظ وتكثير المعاني، دون أن يكون في العبارة حذف.[1]

ــ **إيجاز الحذف**: وهو الذي يصفه **الجرجانيّ** في كتابه دلائل الإعجاز بقوله: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن"،[2] والحذف هو التخفيف من ثقل الكلام، وعبء الحديث، ففي الخفة تكمن البلاغة، ويسمو الكلام حتى يصل إلى قوة التأثير[3].

ويعد الحذف مبحثا خصبا من مباحث علم المعاني، له أثره في البلاغة والبيان، إلا أنه لا يمكن حصر مواضع الحذف لأنّها ليست تقعيدا منطقيا مقننا، وإنما هي مواقف فنّية ندركها من الموقف كله، فقد تكون هناك أغراض أعمق وأدقّ من تلك التي حصرها البلاغيون، وعلينا أن نستشف العطاء الفني لنسق التركيب من داخل العمل نفسه، ومن تشكيله الفنّيّ الخاصّ به[4].

هذا وقد تناول البلاغيون في مباحث علم المعاني سياقات الكلام التي يرد فيها حذف أحد طرفي الإسناد أو سواهما، وذلك من منطلق أنّ النظام اللغوي

---

[1] مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992، ص16.

[2] عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص 146.

[3] عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، دار المريخ للنشر، الرياض، ص 159.

[4] رجاء عيد، فلسفة البلاغة، مرجع سابق، ص 81.

يقتضي في الأصل ذكر هذه الأطراف، ولكن التطبيق العملي من خلال الكلام قد يسقط أحدها اعتمادا على دلالة القرائن المقالية أو الحالية وذلك لأغراض فنية[1]، ومن هنا يذهب البلاغيون إلى إن مهمة الحذف الفنية تكمن في فتح المجال واسعا أمام المتلقي لاستحضار معان غائبة تنتج في فضاء العبارة، ولهذا فإنه لا يمكن الجزم بتقدير معنى واحد في الصياغة الفنية، فقد تكون هناك أغراض أعمق وأدق من التي ندركها لأول وهلة.

5. خاتمة:

وهكذا يتضح لنا في الأخير أن هذا التقارب الذي حصل بين الدرس النحوي من جهة والدرس البلاغي من جهة أخرى وذلك التلاقح المعرفي بينهما أدى إلى نشوء علم المعاني أو ما يسمى بالنحو العالي عند بعض المعاصرين، ما أسهم إلى حد كبير من إخراج النحو القواعدي من تشرنقه على قواعده الصارمة إلى فضاء دلالي رحب يمنح القانون النحوي حركيته ويبث فيه الحيوية الدلالية بعيدا عن الجاهزية، كما أن البلاغة تفيد من الدرس النحوي من خلال مقولاته في تأثيث منظومتها التحليلية والإجرائية، وذلك من خلال تفعيلها في قراءتها للنصوص، باعتبار أن القراءة النحوبلاغية هي إبراز معان لم تكن موجودة في الظاهر، ويبقى هناك تمايز بين المعالجة النحوية والمعالجة البلاغية للتراكيب والنظر إلى العدول الذي ينتابها، هذا التمايز الذي يحقق الخصوصية لكل علم.

---

[1] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، 1994، ص313.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، رواية حفص.

1.ابن جني، التصريف الملوكي، تح ديزيره سقال دار الفكر العربي، بيروت، 1998

2.ابن جني، الخصائص ج1، تح عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، .2008

3.ابن منظور، لسان العرب، تح عبد الله الكبير، محمد حسب الله، مج1، ج5، دار المعارف، القاهرة.

4.أبو هلال العسكري، الصناعتين، ط1، مطبعة محمود بك، الأستانة، 1319هـ.

5.أحمد يوسف علي يوسف، البلاغة العربية،ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، دت.

6.بدوي طبانة، أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1981.

7.بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني، ج1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1987.

8.توفيق الفيل، بلاغة التراكيب– دراسة في علم المعاني – ، مكتبة الآداب، القاهرة.

9.الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، قرأه وكتب حواشيه وقدم له: ياسين الأيوبي،ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1423–2002.

10. حسن طبل، علم المعاني في الموروث البلاغي، ط2، مكتبة الإيمان، المنصورة، 2004.

11.رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية.

12.رفيق خليل عطوي، صناعة الكتابة، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1989.

13.السكاكي، مفتاح العلوم، ط1، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000.

14.سيبويه، الكتاب، ج2، ط1، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

15.شفيع السيد، البحث البلاغي عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، دت.

16.الشيخ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ط1، بيروت، المكتبة العصرية، 2005.

17.عبد الغفار حامد هلال، علم الدلالة اللغوية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، دت.

18.عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، دار المريخ للنشر، الرياض، دت.

19.عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط5، تح محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004.

20.علي محمد الجرجاني، التعريفات، تح: محمد بن عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1990.

21.فريد عوض حيدر، فريد عوض حيدر، علم الدلالة، ط2، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1999.

22.فؤاد إفرام السياني، منجد الطلاب، ط44، دار المشرق، بيروت، 1996.

23.القلقشندي، صبح الأعشى ج1، تقديم فوزي محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

24.محمد حسين علي الصغير، علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1989.

25.محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، بيروت، مؤسسة الرسالة.

26.محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، نقد العقل العربي2، ط9، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009.

27.محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، 1994.

28.محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992.

29.محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط2، مكتبة الطالب الجامعي، 1986م.

30.محمود أحمد حسن المراغي، علم البديع، ط1، دار العلوم العربية، بيروت، 1991.

31.محمود عكاشة، محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ط1، مصر، دار النشر للجامعات، .2005

32.مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2005.

33.مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992.

34.نايف محمود معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، بيروت، دار النفائس، ط1، 1985.

المجلات:

35.إبرهيم منصور التركي، العدول في البنية التركيبية – قراءة في التراث البلاغي، مجلة جامعة أم القرى، ج9، العدد 9، 1428.

36.إسماعيل شكري، "في نقد الصور البلاغية: مقاربة تشييدية"، عالم الفكر، العدد3، يناير، مارس 2009، ص 154.

37.تمام حسان، المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، مجلة فصول، أبريل، 1987.

38.سالم علوي، "الدرس النحوي بين التنظير والتطبيق"، اللغة والأدب، العدد5، 1994.